

بلاغة الصورة في تلقي "ظاهرة اختطاف الأطفال بالجزائر" قراءة تسميائية لنماذج من الصور الصحفية.

The Rhetorical of the Image in the Reception of “Child Kidnapping Phenomenon in Algeria” A Semantic Reading models of press releases.

طارق ثابت،¹ جامعة باتنة1 thabettarek@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/09/20 تاريخ المراجعة: 2019-06-07 تاريخ القبول: 2019-06-08

ملخص: إن أي خطاب ينتج معنى ما يستهدف إبلاغه، وكون الصورة خطاباً، فهي خاضعة لهذه القاعدة مؤطرة بسياقين: الإنتاج والتلقي، ولئن كان الخطاب حول "مناهضة ظاهرة اختطاف الأطفال بالجزائر" ينبني على محاولة القضاء على ظاهرة دخيلة في بنية المجتمع الجزائري، فإن إستراتيجيته تؤمن بذلك الإيمان المعرفي بفلسفة الحياة والوجود في شتى أبعادها ليتولد ذلك الإحساس الوجداني المنحدر من مشروع الصورة يقر بحقيقة التواصل مع الآخر وفق ما تقتضيه الغاية الأشهارية انطلاقاً من سبل تواصلية تضع كلا من الإقناع والكفاءة الإقناعية في الحساب كونها منطلق الفعل التحليلي المبتكر. ولهذا سنعتمد في ضوء هذه الدراسة المنهج البلاغي التسميائي -باعتباره الأنسب- لتناول تلقي الصورة الصحفية المتعلقة بمشاريع الدولة والمجتمع المدني والإعلامي الجزائري في رفض هذه الظاهرة ومحاربتها وتقصي أوجه بلاغتها وفق الرؤية البارتية التي تعين على تأويل ما يمكن أن تؤديه علاماتها من معانٍ من خلال عرض نماذج تحليلية من مجلات وجرائد جزائرية وعربية.

الكلمات المفتاحية: الصورة، الخطاب، اختطاف الأطفال، تسميائية، دلالة، منهج بلاغي.

Abstract: Every discourse yields a meaning to transmit. Given that the image is a discourse, it consists a subject to this rule; framed with two contexts: Production and reception. Considering that the discourse of “The prevention of child kidnapping phenomenon” is based on the attempt of eliminating an outsider phenomenon in the Algerian Society, It’s strategy believes in that cognitive faith in philosophy of life and existence, in all of its dimensions, generating such a sentimental feeling which is issued from the project of the image, and admitting the fact of communicating the other, according the communicative ways required by the advertising aim, which put into account both: the persuasion and the persuasive competency, as a source of the analytic creative action. Therefore, in the light of this study, we will use the rhetorical semantic method, as the most appropriate, to address the reception of the press releases, that is linked to the to the projects of the state, the Algerian media and civil society, concerning the rejection and fight against this phenomenon, as well as the investigation of its rhetorical devices, according to Barthes’s view, which helps in interpreting the possible meanings its signs can convey, through the presentation of analytic models excerpt from Algerian and Arab magazines and newspapers.

Keywords: Image, discourse, Child kidnapping- Semantic, significance, rhetorical method.

مقدمة:

تعد جريمة اختطاف الأطفال من أخطر أشكال الإجرام والانحراف التي تمس بقيم المجتمع، وأمنه، واستقراره، لأنها تتعلق بحياة طفل بريء لا ذنب له، وهذه الظاهرة يرجع وجودها إلى عوامل متعددة منها ما يتعلق بالجانب الديني والأخلاقي، ومنها ما يتعلق بالجانب الاجتماعي، ومنها ما يتعلق بالظروف الاقتصادية كالفقر وغيره.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول خطاب "مناهضة ظاهرة اختطاف الأطفال بالجزائر" الذي يبنّي على محاولة القضاء على ظاهرة دخيلة في بنية المجتمع الجزائري، لذا فإن إستراتيجيته تؤمن بذلك الإيمان المعرفي بفلسفة الحياة والوجود في شتى أبعادها ليتولد ذلك الإحساس الوجداني المنحدر من مشروع الصورة الذي يقرّ بحقيقة التواصل مع الآخر وفق ما تقتضيه الغاية الإشهارية انطلاقاً من سبل تواصلية تضع كلا من الإقناع والكفاءة الإقناعية في الحسبان كونها منطلق الفعل التحليلي المبتكر، ومن هنا يمكن أن نطرح إشكالية البحث من خلال السؤال التالي: ما هي آليات الخطاب واستراتيجياته في المقالات المناهضة لظاهرة اختطاف الأطفال، وما حدود الكفاءة الإقناعية فيها في استمالة المتلقي؟

وللإجابة عن سؤال الإشكالية يطرح البحث الفرضية التالية: إن إستراتيجية الخطاب يتولد منه ذلك الإحساس الوجداني المنحدر من مشروع الصورة، الذي يقرّ بحقيقة التواصل مع الآخر وفق ما تقتضيه الغاية الإشهارية، انطلاقاً من سبل تواصلية ينتهجها كلا من الإقناع والكفاءة الإقناعية.

منهج البحث:

لدراسة هذه الإشكالية سنعتمد على المنهج البلاغي السيميائي -باعتباره الأنسب- لتناول تلقي الصورة الصحفية المتعلقة بمشاريع الدولة والمجتمع المدني والإعلامي الجزائري.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في البحث عن المقاربة البلاغية للصورة الصحفية في الكشف عن أسس الخطاب الإقناعي الذي تقوم به الصور المتعلقة بـ صور اختطاف الأطفال على المتلقي، عن طريق السيميائيات في بعدها التأويلي الذي يصف النصوص الدليلية في تلقيها وتقاربها في انعكاساتها الذهنية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على جريمة اختطاف الأطفال التي تعد من أخطر أشكال الإجرام والانحراف التي تمس بقيم المجتمع، وأمنه، واستقراره، كما يهدف إلى البحث في إستراتيجية الخطاب الإعلامي المصاحب لهذه الظاهرة من خلال المقاربة البلاغية للصورة الصحفية في الكشف عن أسس الخطاب الإقناعي الذي تقوم به الصور المتعلقة بـ صور اختطاف الأطفال على المتلقي.

أولا - مقدمات في حدود الصورة:

لابد بداية من أن نبرز حدود الصورة أو الصورة الفوتوغرافية، وهي في أصلها اللاتيني مشتقة من كلمة (imago)، المقصود منها كل تمثيل مصور مرتبط بالموضوع الممثل عن طريق التشابه المنظوري (la borderie, 1972, p:13-14)، فأصلها الاشتقاقي يحيل إلى فكرة النسخ والمثابة والتمثيل، وهي إما أن تكون ثنائية الأبعاد مثل الرسم والتصوير، أو ثلاثية الأبعاد مثل النقوش البارزة والتمثيل، كما أنها في أصولها الإغريقية واللاتينية تُرادف كلمة أيقون والتي يُراد منها أيضاً المثابة والمماثلة، وعليها بنى "بيرس" صرح نظريته السيميائية، ليعتمدها اتجاهه كمصطلح مركزي لمقاربة الصورة 127 : p, BURZLAFF, 1990.

أما من ناحية التعريف الاصطلاحي للصورة في المعاجم السيميائية المتخصصة: "فإنّ السيميائيات البصرية تعدّ الصورة وحدة متمظهرة قابلة للتحليل، وهي عبارة عن رسالة متكوّنة من علامات أيقونية، لهذا فسيمبولوجيا الصورة تجعل من نظرية التواصل مرجعها" 181 : p, GREIMAS, COURTES 1979.

وقد تطوّرت الصورة بالإعلام والاتصال والتكنولوجيات الرقمية، لتصبح ذات أنواع وأصناف عديدة، فقد قام "بول ألماسي P.LMASY" بوضع خطاطة تصنيفية للصوّر، جاءت على صنفين 20, 1993, p. CLAUDE

*الصنف الأول: الصور السينمائية التي تندرج تحتها كل من (السينما، التلفزيون، الفيديو)

*الصنف الثاني: الصور الثابتة، والتي تنقسم إلى قسمين، الصور الجمالية، الصور النفسية، ويدخل تحتها الصور: الوثائقية، الإشهارية، الإخبارية ومنهم من اختصر تقسيم الصورة إلى قسمين رئيسيين: الثابتة والمتحركة.

هذا وقد وصف "رولان بارث ROLAND BARTHES" الحضارة المعاصرة بحضارة الصورة، فالصورة تغيّر من الواقع وتعيد تشكيله من جديد، لذلك حذّر الناقد في معرض تحليلاته السيميولوجية للصورة من خطر الصورة وتأثيرها على حياتنا المعاصرة. لذا فإنّ الهدف من مساءلة الصورة الفوتوغرافية هو استخراج التمثلات الذهنية التي تبين هذا النوع من الإنتاج، وهي تمثلات تتحكّم في السلوكات اليومية للإنسان وفي القيم التي يُنتجها. واستطاع "رولان بارث" بدراسته لهذا النوع من العلامات أن يفصح تلك الثقافة / الأيديولوجيا التي تختبئ وراء ما يقدم نفسه كطبيعة يتداولها أفراد مجتمع ما بكل بداهة وعفوية، فإذا أخذنا كتابه "أساطير" 1957، فهو في العمق تأويل للعوالم الاجتماعية في إطار التواصل الجماهيري، أيّا كانت مادة هذه العوالم والأنساق: نصّاً، صورة، سلوكاً.

وبعبارة أخرى فإنّ "أساطير" هو سيميائيات نقدية للإيديولوجيات بتحليله لبعض الصور، عمّل "بارث" يصب في تبيان السلطة المتحكّمة في الصورة، لأنّ لها بعدين: التقريري والإيحائي. فبالنسبة إليه إذا كانت اللغة نتاج تواضع جماعي فهناك أيضاً لغة فوتوغرافية متواضع عليها تشتمل على علامات وقواعد ودلالات لها جذور في التمثلات الاجتماعية والإيديولوجية السائدة، فالصورة الفوتوغرافية حسب "رولان بارث" تتميز بكونها ذات استقلالية بنيوية. وتتشكّل من عناصر منتقاة، ومعالجة وفق المطلبين الجمالي والإيديولوجي اللذين يعطيانهما بُعداً تضامنياً (ثاني، 2005، ص: 25).

وإذا كانت الصورة الفوتوغرافية تمثّل الواقع الحرفي فإنّها في الوقت نفسه تخضع هذا الواقع إلى عمليات التقليص، ولكن هذا التقليص لا يعني التحويل. يقول رولان بارث في هذا الصدد: "إنّ الانتقال من الواقع إلى صورته الفوتوغرافية لا

يستلزم حتماً أن نقطع هذا الواقع إلى عناصر وأن نشكل من هذه العناصر علامات تختلف مادياً عن الشيء الذي تقدّمه للقراءة" (ثاني، 2005، ص: 29)، وهذا يعني أنّ الصورة الفوتوغرافية توحى بمجموعة من الدلالات ويبقى للقارئ اختيار أو إنتاج البعض منها. وهكذا فإنّ قراءة الصورة الواحدة يتعدّد نظرياً بتعدّد القراء. ولكن اختلاف القراءات لا يعني أنّ الصورة تبقى مفتوحة إلى ما لا نهاية لأنّ تلك القراءات تظلّ حسب "بارث" مرتبطة بالمعارف المستثمرة في الصورة: معارف لغوية، أنثروبولوجية، تجريبية، جمالية" (ثاني، 2005، ص: 32).

ولشرح هذا التقليل لعدد القراءات الممكنة، سيفترض "بارث" وجوداً ضمناً لنوع من المضامين الثابتة والتكوينية للإنسان الاجتماعي داخل مجموعة لغوية وثقافية معيّنة. إنّ هذه المضامين الثقافية لتأويل الصورة الفوتوغرافية مضامين تاريخية وتتطور مع تطور المجتمع الذي ينتج هذه الصورة أو يستقبلها. وبصيغة أخرى، فإنّ كل اللغات الذاتية تتشكل تجاه الخطاب الرمزي لصورة فوتوغرافية، على صرح لغة اجتماعية واحدة وحول "معجم عميق" "معجم مسنن مثل النفس التي هي نفسها مركبة مثل اللغة" وهنا يمزج "بارث" بين مقاربتين مختلفتين (لاكان ويونغ). فالخطاب الرمزي يشغل في عمق حركيته البنيات اللغوية التي هي إمّا بنيات لا شعورية جماعية وإمّا بنيات ثقافية مؤطرة تاريخية، وهكذا فإنّ إدراك صورة ما يشغل في العمق سيرورة لغوية بأكملها فوصف صورة مثلاً هو في العمق عملية إنتاج مدلولات إيحائية: "وهو بالضبط عملية إضافة خطاب ثانٍ مأخوذ من السنن الذي هو اللغة إلى الخطاب التقريري الأول. واللغة (مهما أخذنا كل الاحتياطات لكي نكون دقيقين في الوصف) هي قدراً إحياء بالنسبة للخاصية التناظرية للصورة الفوتوغرافية. فليس الوصف إذن عملية دقة أو نقصان، إنه تغيير بنيوي، وهو التدليل لشيء آخر غير الذي تظهره الصورة" (Barthes, 1982, p.13)، وفي مقاله "بلاغة الصورة" يقدم "رولان بارث" وصف "الصورة الفوتوغرافية على أنها لغة واصفة من هذا المنظور تصبح اللغة نسقاً واصفاً تعمل بنياته المورفولوجية والتركيبية والدلالية على تغيير بنيات اللغة، و"هكذا وصل رولان بارث بعد تحليلاته المعمّقة للصورة إلى أنها تنطوي على إحياءات متعدّدة: أدبية ورمزية ووجدانية لا يمكن تجاهلها وإن كان نشاطها الدلالي وتفاعل مكوناتها الداخلية هو الذي يخلق المعنى ويبرز قسماته، وهو الذي يزيد في ثراء وغنى مادة الصورة" (صبطي و بخوش، 2009، ص: 141)، وإذا

كانت البلاغة هي علم أشكال الأسلوب القادر على الإقناع بواسطة الصورة حسب "كوسيت COSSETTE فإن الصورة الاشهارية -أحد الصور الفوتوغرافية- هي أشدّ الصور ملائمة للمقاربة البلاغية، خاصة أنّ الدلالة في الصورة الاشهارية مقصودة حسب "رولان بارث". ويقتضي التحليل البلاغي للصورة أن نستكشف جميع الآليات البلاغية التي تحرّك وتنمي الوظيفة الإقناعية للصورة الإشهارية.

ثانيا- آليات تنفيذ بلاغة الصورة من مستويات القراءة إلى فعل التأويل:

تعتمد البلاغة الفوتوغرافية في تنفيذها على جملة آليات تتواشج بشكل كبير مع البلاغة اللسانية، فتمارس عبقرية التصوير والألوان مثلما تستعين بمقدرة اللغة على المراوغة والمحاوره والتخفي ومن ثمّ الإحالة إلى عوالم ممكنة عديدة، تجعل من المتلقي نفسه طرفاً في إنتاج البلاغة، ومن هذه الوسائل التي يحقّق الفوتوغرافي درجة البلاغة تزيد أو تقل تبعاً لعوامل أخرى تتصل بتلقي النص، نجد بلاغة العنوان والعامية والسخرية والبورتريه.

وإذا كانت الصور المرافقة لـ"ظاهرة اختطاف الأطفال" تنبني على محاولة القضاء على ظاهرة دخيلة في بنية المجتمع الجزائري، فإن إستراتيجيته تؤمن بذلك الإيمان المعرفي بفلسفة الحياة والوجود في شتى أبعادها ليتولد ذلك الإحساس الوجداني المنحدر من مشروع الصورة يقرّ بحقيقة التواصل مع الآخر وفق ما تقتضيه الغاية الاشهارية انطلاقاً من سبل تواصلية تضع كلا من الإقناع والكفاءة الإقناعية في الحسبان كونها منطلق الفعل التحليلي المبتكر، وسوف نسعى إلى التقصي عن الأساليب الإقناعية التي استخدمتها الصورة الفوتوغرافية في مضامين ظاهرة اختطاف الأطفال من خلال البحث في مستويات الدلالة للصورة الفوتوغرافية لهذه الظاهرة.

فمن خلال تلقينا لهذا الخطاب البصري المتعلّق بظاهرة الاختطاف، فإننا نخضعه لثلاثة مستويات من القراءة: القراءة الوصفية، القراءة التقنية والقراءة التأويلية؛ وهكذا يحتمّ على متلقي الصورة أن يتدرّج في قراءاته لها من القراءة الواسفة التي لها مقدارا معيّنا من العلمية، من خلال طبيعة الصورة ومكوناتها وتقنياتها، ومن ثمّ يعرّج على المكونات الأيقونية والتشكيلية ويمنحها هويتها. أما القراءة القراءة التأويلية فهي رهينة بالبعد الذاتي والإيديولوجي للذات القارئة، وفيها يمنح المكونات الأيقونية والتشكيلية أبعاداً دلالية وجمالية وفق السياق الذي

تشتغل ضمنه؛ فبعد القراءة الوصفية للصورة على التعيين بتحديد طبيعتها ومكوناتها (المنظور، زاوية النظر، الإضاءة، اختيار الألوان..)، سيتخذ القارئ من هذه القراءة الجماعية التي تواضعت عليها الجماعة المفسرة عوناً تأويلياً يعضد به قراءته الفردية لنص الصورة، الذي سيتقاطع فيه المستوى التعييني بالمستوى التضميني، ليشكّلا قطبي الوظيفة السيميائية، ويحقّقا شكل مضمون الصورة، لأنّ تأويل الصورة من كلّ تأويل، يحتاج إلى بناء السياقات المفترضة من خلال ما يعطى بشكل مباشر، ولا يمكن لهذا التأويل أن يتم دون استعادة المعاني الأولية للعناصر المكوّنة للصورة، وضبط العلاقات التي تنسج بينها ضمن نص الصورة" (بنكراد، 2003، ص: 93)، لنخلص إلى أنّ كلّ القراءات التي تناولت الأعمال الفنيّة والصوّر هي عبارة عن تأويلات يستحيل معها تطابق الصورة مع المرجع (عالمي، 2004، ص: 55-56).

فالصورة في العود والبدء دائماً في خلق قرائي وتأويلي جديد، وهذا ما يردده "إمبرتو إيكو" من أن عملية بناء الدال الأيقوني في الصورة الاشهارية إلى ثلاثة مستويات من التسنين، يغطي كل مستوى منها حقلاً من حقول الممارسة الإنسانية، ويتعلّق الأمر بـ: الأيقون والإقنوغرافيا والصوّر البلاغية.

1. **المستوى الأول** خاص بالتسنين الأيقوني، وهو ما يمكن أن يترجم بلغة بسيطة، في القدرة على تحويل دال لفظي إلى دال بصري. وبعبارة أخرى، فإنّ المسألة تتحدّد في إعطاء المضمون المدرك أصلاً من خلال الحقل اللساني معادلاً صورياً.
2. **ويعود المستوى الثاني** إلى التسنين الإقنوغرافي، ويتعلّق الأمر بمجموع التمثيلات البصرية التي تُحيل على تشكيل صوري يحتوي في داخله مدلولاً مسنّناً بشكل اعتباطي. ويشتمل إمّا على تشكيل صوري ذي صبغة تاريخية وإما على تشكيل بصري مرتبط بحقل الإشهار ذاته، فالعارضة تتميز بطريقة خاصة في الوقوف والمشي واللباس والنظرة.

3. **أما المستوى الثالث** فيعود إلى حقل البلاغة، ويتعلّق الأمر بإعطاء صورة بلاغية متجليّة من خلال حامل من طبيعة لسانية مقابل بصرية" (ECO, 1984, p : 239240).
- ضمن هذه التسنينات المتنوّعة تتبلور وتتشكّل الدلالات الممكنة للصورة الاشهارية. وضمنها أيضاً تحاك خيوط قراءاتها الفعلية والممكنة، الذاتية والموضوعية. وعبرها أيضاً يتحدّد الوقع (الجمالي - الإقناعي) المفترض إنتاجه عبر الصورة الإشهارية.

ثالثاً- مقارنة بلاغية سيميائية لنماذج صور صحفية لظاهرة اختطاف الأطفال:

إن الصورة الصحفية نسق سيميائي دال يتضافر أو يتفاعل فيه ما هو لغوي بما هو غير لغوي، والناظر لمدونة الصور التي تمّ اختيارها يجد كلا منها علامة كبرى تتألف من علامات جزئية أخرى تتفاعل داخل نظامها بحيث تشكل نسقاً منسجماً من العلامات ممّا يجعل هذا النسق موضوعاً صالحاً للسيميائيات. ولكن ينبغي أن يتوفر إنتاج دلالة نسق أو إقامة تواصل قدرا من المواضع الثقافية بين المبدع والمؤول وقارئيهما الضمنيّين أو الفعلين، وكلما تكاملت الثقافة، على مستوى الإنتاج وإعادة الإنتاج، مع الممارسة الإبداعية كنا فعلا أمام ملكات نموذجية في القراءة والتأويل، ومن أجل امتلاك دعامة أساسية في التأويل "لا بد من النظر إلى النسق مستقلا بذاته مالكا لسياقاته الخاصة قادراً على إنتاج معانيه ويحتاج في ذلك إلى وجود وضع أو سنن خاص به" (السنوني، 2008، ص: 1061)، وبالتالي يسوغ لنا أن ندرس مجموعة من الصور الفوتوغرافية دراسة سيميائية باعتبار السيميائيات معرفة ثرية خصبة مناسبة لدراسة هذا النوع من الخطابات البصرية: "إنّ السيميائيات هي أساساً، في مستواها الأعلى متعددة الاختصاصات، على اعتبار أن حقلها يُعنى بفهم ظواهر متعلّقة بإنتاج المعنى في أبعاده الإدراكية والاجتماعية والتواصلية. إنها مجال بحث أكثر منها اختصاصاً في حدّ ذاته له منهجيته الموحدة وموضوعه المحدّد" (دو مينجوز، 2007، ص 40-71). ويقول بيرس في هذا الصدد: "... إنّ الطريقة الوحيدة لتبليغ الأفكار هي عبر الإيقون، وكل الطرق مباشرة لتبليغ فكرة ما يجب أن ترتبط من أجل تأسيسها باستعمال الأيقون، وتبعاً لهذا فكل إثبات assertion يجب أن يتضمّن إيقوناً أو مجموعة إيقونات أو عليه أيضاً أن يتضمن علامات لا يمكن تفسير دلالاتها إلاّ عبر أيقون" (الماكري، 1991، ص: 48-49)، وهذا ما سوف ندرسه من خلال ثلاث عناصر هي بلاغة العنوان، بلاغة التناص، بلاغة السخرية.

أ. بلاغة العنوان:

نقوم في البداية باختيار مدونة من الصور المتنوعة وتتمثل الصورة الأولى في الواجهة الأولى لجريدة يومية جزائرية (الشروق، 2012، 2012/12/21) عنونها بخبر مثير وجذاب للقارئ أو الملتقي وهو (مجهولون يختطفون تلميذة من بيتها وينزعون أعضائها) وهو عنوان مثير وصادم للقارئ مع عناوين فرعية

لتصريحات مؤلمة أيضا لوالدي الطفلة المخطوفة، حيث يقول الوالد في نسق لغوي متناسق مع العنوان الرئيس(أخذوا مني نور عيني وحرمني من الضوء الذي ينير بيتي) وتقول الوالدة أيضا : (سمعت دقات على الباب فهرعت لفتحه... لكنها لم تعد..)، هذه العناوين الثلاث هي عناوين صادمة للقارئ وتوحي له مباشرة بعدة رسائل ودلالات.



الصورة 01: المصدر- جريدة الشروق اليومي بتاريخ

<http://www.echoroukonline.com/ara/articles/151730.htm>.2012/12/21

فالجريدة استطاعت هنا أن تلتقط تصريحات والد ووالدة الطفلة المختطفة وتوظفهما كنص لغوي، أصبح رافداً تعبيرياً قوياً للرسالة البصرية المتمثلة في صورة الطفلة المختطفة تتوسط الجريدة وصورة والديها وهما يبكيان في أدق لحظات التأثر والحسرة، التي أرادت أن تتواصل بها مع المتلقين بهذه الصور وأيضاً بالجملة الرئيسية بالغة الرمزية (مجهولون يختطفون تلميذة من بيتها وينزعون أعضائها)، وهي جملة العنوان التي تلخص في بلاغة وإيجاز رسالة الصورة وهدفها، فقد دعمت الصورة بثلاث عناوين كما قلنا توحي بدلالات قوية عن سبب الاختطاف (ينزعون أعضائها)، ماهية صاحب الاختطاف (مجهولون..سمعنا دقات على الباب..) نتائج الاختطاف (أخذوا مني نور عيني..لم تعد..)



الصورة 02: المصدر - جريدة الشروق اليومي بتاريخ

<http://www.echoroukonline.com/ara/articles/152068.html>, 2012/12/24

والى جانب الصورة باعتبارها نسقاً إيقونياً يوجد النسق اللساني في الصورة رقم 02 (الشروق، 2012، 2012/12/24) وهو كالآتي: "من رمى ياسر في البئر حر طليق ومغرق شيماء وصهيب في برميل ما زال مجهولاً" مكتوبة بالخط السميك باللون الأحمر دلالة على القتل والدم، يتضافر هذا مع الصورة التي تظهر مكتظة ومفعمة بدلالات عميقة من خلال صور ثلاث أطفال اختطفوا وقتلوا بكل وحشية، أما العنوان الفرعي الموسوم بـ "ذابح عامر سيحاكم بفرنسا ومغتصب ياسر أثار احتجاج السجناء" هو بمثابة تفسير للموضوع يقدم دلالات إضافية في حاجة إلى تفصيل وقراءات منفتحة مفادها أن مرتكبي هذا الفعل غير مرحب بهم حتى من طرف المساجين لفضاعة هذا الفعل.

فهنا نلمح التفاعل بين الشكل (الصورة) والخطاب (اللغة) المكتوبة في الجريدة باعتبارها وسيطاً تواصلياً، أو بين النسق اللساني والنسق الإيقوني في هذا التحقيق الإخباري الذي يتصدر الجريدة في صفحتها الأولى، والذي يتعدى كونه خطاباً واصفاً لوضع ما باللغة وبالصورة لينفتح على القراءة والتأويل؛ قراءة الأدلة والعلامات السيميائية وتكوينها ومعرفة أبعادها التواصلية والدلالية الكامنة فيها، ذلك لأنّ السيميائيات في بعدها التأويلي، كما أورد أحمد العاقد يصف النصوص الدليلية في تلقيها وتقاربها في انعكاساتها الذهنية وتحللها في مساراتها الدلالية التأويلية، إنها تقصد إلى تحصيل معاني الأدلة اللغوية لفظية وغير لفظية في بعدها التأويلي. وأما في بعدها التواصلية فتعني بطرائق التواصل ووسائل التأثير الاصطلاحية ووصف العلامات، وتدخل في الاعتبار مفهومي التخاطب والقصد من التواصل في تقويم الأدلة اللغوية" (العاقد، 2002، ص: 134-135).

فإذا اعتبرنا أن القصد من وراء التحقيق الإخباري هو أن يقدم أفكاراً أو صوراً عن هذا الحدث الراهن الذي يمس حياة البراءة والطفولة تفسر وتحلل حقيقة مثبتة، فإن مضمونه كما يتجلى من شكله صورة ولغة يعكس شكلاً من أشكال الحكم على مرتكبي هذا الفعل، ويمكن أن نشير هنا إلى أهمية المدخل التواصلية التفاعلية في دراسة هذا النوع من الخطابات. فتتأسس عملية التواصل، كما هو معروف، على جملة من العناصر تتولد عنها جملة من الوظائف كما يبين ذلك جاكبسون JAKOBSON ويمكن أن نفصل ذلك كما يلي:

- **على مستوى المرسل:** يتمثل المرسل في هذا التحقيق الإخباري في الصحفي الذي أجرى التحقيق والمصور الذي شاركه وكذا المؤسسة الإعلامية التي ينتميان إليها. فالمرسل هنا، هو الذي أنتج الرسالة وعبر عنها بما اقتضاه النسق اللغوي والنسق الإيقوني المتمثل في الصورة. وتتولد عن المرسل الوظيفة التعبيرية F. expression التي تقرأ في العبارة الآتية: "مغرق شيماء وصهيب في بئر مازال مجهولاً"، فهذا التعبير يشوق المتلقي أو القارئ للجريدة للإقبال أولاً على شرائها وهذه غاية أولى بالنسبة للمؤسسة الإعلامية ثم قراءة ما فيها بعد ذلك وبخاصة التحقيق الذي يعدّ موضوعاً رئيساً كما سبقت الإشارة.

- **على مستوى: الرسالة أو الخطاب:** ويتمثل في محتويات الموضوع وما فيه من معلومات وأخبار يودّ المرسل تبليغها للمتلقي، وإفادته بها وبخاصة المعلومات الجديدة التي لا يعرفها إلا من خلال القصص المثيرة والأخبار التي دأبت عليها هذه الجرائد، وهو ما ساهم في توسيع نطاق التعريف والتحذير بظاهرة اختطاف الأطفال، ويذهب جرنبر GERBNER إلى أن التواصل ناتج عن التفاعل بين الإدراك والإنتاج في معالجة الأحداث، وتصور العملية التفاعلية في سيورورة تشكلها سلسلة الإدراك فالإنتاج فالإدراك" (العائد، 2002، ص:65)، وهذا ما توضحه الصورتين (بيت العرب، 2013، 2013/01/24).



الصورة 03: المصدر- منتدى بيت العرب الجزائري،

<http://www.algerianhouse.com/mountada/t3661>



الصورة 04: المصدر- منتدى بيت العرب

<http://www.algerianhouse.com/mountada/t3661>، الجزائري

• على مستوى المتلقي أو المرسل إليه:

يعتبر المتلقي عنصراً أساسياً في العملية التواصلية التي لا تتم إلا به، ويتمثل في جمهور القراء الذين سيقروءون الجريدة ويطلعون على الموضوع، وإذا كان المرسل هو الذي يسن الخطاب ويضع شفراته ويرسله، فإن المتلقي يفك سنن الخطاب وشفراته

بغية إدراكه وفهمه، من هنا نخلص إلى أن المعنى يؤطره مستويان حاسمان للحصول عليه بعد استعمال الشيء المضمّن له هما:

- 1- **الضروري الثقافي:** أي أدنى مقدار من الثقافة، والثقافة هي البيانات الذهنية والتمثيلية التي يقيمها المتلقي خلال سيرورة تعليمية في ذهنه.
- 2- **المدرّك المعرفي:** وهو الحويلة المعرفية المستجمعة لدى المتلقي، إلى حين تلقيه خطاباً بصرياً ما والتفاعل معه. ونؤكد أن أي متلق يتوافر على هاتين الأداتين بالضرورة تكون قراءته قراءة جيّدة.

ب- **بلاغة التناص في الصورة الفوتوغرافية:** البلاغة كما يرى النقاد والدارسون لا تقف عند حدود النص المكتوب، بل إنّ الصورة أيضاً يمكن أن تتضمّن أحداثاً بلاغية على عكس ما كان مقرراً في الدراسات السابقة من أنّ البلاغة حكر على اللغة، ومن خلال تحليلنا لمجموعة من الصور الفوتوغرافية نوضّح من خلالها كيف تتجلى البلاغة في الصورة الفوتوغرافية، يعجز النص اللغوي نفسه عن بلوغها، بل وتتعاقد الصورة مع النص لتنتج بلاغة جديدة لسانية وغير لسانية، فاختطاف الأطفال سلوك اجتماعي شاذ ودخيل على المجتمع الجزائري وعلى كل مجتمع إنساني سوي، وهذا يجسده لنا في الصورة الموالية (المسار، 2013، 2013/05/26).

عائلات أجنبية تباهم مقابل مبالغ خيالية

ملف "اختطاف" الأطفال وبيعهم في أوروبا... اليوم أمام العدالة



الصورة 05: المصدر - جريدة المسار بتاريخ 2013/05/26،

<http://www.elmassar-ar.com/ara/permalink/30152.html>

والتأمل في هذه الصورة الفوتوغرافية نلمح في سياقها الآني تختزل مجموعة من دلالات لا متناهية، كما إنها توحى للمتلقي بأفاق تخيلية قادرة على

استيعاب ما هو موجود في الصورة وما يمر في تقاسيم الطفلة البريئة ، حيث إنها تبدي ابتسامة مشرقة بريئة وهي تستجيب لعرض شخص غريب يمتطي سيارة بتقديم الحلوى لها وربما كان يعرض عليها الركوب لأخذها للبيت مثلاً، فالحلوى هنا دالة على الإغراء ، فالتناص إذن هنا هو إشراك الحلوى للتعبير على رمزياتها الإغرائية التي لا يقاومها الأطفال، كما نلمح بعد ذلك نتيجة هذا الفعل الإغرائي الغير محسوب العواقب من طرف طفل غير راشد وغير مدرك لعواقب الأمور. وهذا ما توضحه الصورة الثانية. (التحرير، 2015، 2015/09/28)



الصورة 06: المصدر- جريدة التحرير الجزائرية بتاريخ 28 سبتمبر، 2015

<http://www.altahrironline.com/ara/?p=203167>

فالاختطاف جريمة لا يدرك عمقها وخطورتها الأطفال، فهي تبدأ بفعل إغرائي للطفل كإعطائه حبة حلوى أو هدية أو لعبة مثلاً وينتهي به المطاف إلى تهديده واختطافه، وهذا ما تعبر عنه الصورة حيث يلجأ الخاطف عادة لإغلاق فم الطفل حتى لا يبكي ويصرخ وهي ذات دال ومدلول (حركة اليد على الفم + نظرة الطفل المرتعشة) ، وهي فكرة تقوم على الورطة التي يجد الطفل نفسه فيها من طرف المختطف.

ج/ بلاغة السخرية: من خلال تحليلنا لمجموعة من الصور الفوتوغرافية المنبثقة بعضها من الرسوم الكاريكاتورية التي تفاعلت مع ظاهرة اختطاف الأطفال - باعتبار أنّ الكاريكاتير نقد ساخر وضحك لاذع اجتماعياً، ازداد الاهتمام به عندما تجاوز الترفيه والهزل إلى لعب دور معاشية الواقع بتجسيد هموم الحياة ومعاناتها.



Djelfa.info © 2015

الصورة 07: المصدر - موقع الجلفة أنفو للأخبار، بتاريخ 2015/10/25،

<http://www.djelfa.info/ar/caricature/9210.html>

وتمثل هذه الصورة الكاريكاتورية (صورة رقم 07) (الجلفة أنفو، 2015/10/25، 2015) مشاهد مصغرة تجمع بين الصورة والنص والتعليق، ينقض على اللحظة المفتاح ليتسلل الكاريكاتوري بفضلها إلى أعماق المتلقي قصد الفضح والبوح الجريء.

وهذه الصورة إبداع يتناول تفاصيل اختطاف الأطفال بطريقة هزلية إذ تصور هزلية الوضع وكيف يتسلل الخاطف من حيث ندري ولا ندري، من خلف الجدران المغلقة وغير بعيد عن المدرسة.

وفي نفس الإطار نجد صورة تعطي لنا المضمون القيمي للفعل بعد ارتكابه، حيث يبدو الطفل المختطف في شاهد قبر ومعه أمه والدموع تسيل منها دماءً، إضافة للمختطف وهو يتأرجح على حبال المشنقة، كما نجد المجتمع المستقيل من دوره الفار من قدره، وهو مضمون الصورة السابقة والمتعلقة بالواقع الفعلي - كما يراه الكاريكاتوري- بحيث تحولت ظاهرة اختطاف الأطفال إلى قضية رأي عام بكل ما تحمله الكلمة من معان.



الصورة 08: المصدر: موقع الجلفة انفو للاخبار، بتاريخ 2015/10/25،

<http://www.djelfa.info/ar/caricature/9210.html>

فالصورة الكاريكاتورية رسالة بصرية إيقونية هزلية تعتمد على الفعل والحدث والشخصية والفكرة والمعنى، فهي وسيلة للاتصال الجماهيري تتضمنها هذه الجرائد وتحقق تفاعلاً واضحاً مع المتلقي، ومن الناحية السيميائية تعتبر الصورة الكاريكاتورية نظاماً دالاً للتعبير عن الظاهرة، والمتأمل في هذه الصور يلمح بلاغة السخرية بارزاً بشكل أوضح .

إنّ الإدراك البصري لهذه الصورة بما فيها من معطيات تتعلّق بالشخص المختطف وتركيبته الفيزيولوجية التي توحى بالإجرام، مما يستدعي الربط بمعطيات إدراكية أخرى مثل الذاكرة والأنشطة الشعورية والوعي المتخيّل. الأمر الذي يصير معه الإدراك نوعاً من التذكر الذي يفعل فيه اللاشعور أحياناً، وكذا العوامل الاجتماعية والثقافية أحياناً أخرى، إذ لا يمكن إنكار الوسط الثقافي في الإدراك.

لذلك أيقن الكاريكاتوري تشريح واقع اختطاف الأطفال بطريقة عبثية، استطاع من خلالها إنطلاق الرغبة وتفجير المكبوت وتلبية رغبة المتلقي في النقد والانتقاد ومخاطبة ما في مخياله، وهكذا يتحقّق في الصورة الفوتوغرافية بشكل أعمّ المثل القائل: صورة واحدة تساوي ألف كلمة، وهنالك من يقول صورة واحدة تساوي مليون كلمة" (وصفي، 2003، ص: 100-101).

أو كما قال ريجيس دوبري régis DEBRAY في كتابه "حياة الصورة وموتها vie et mort de l'image" الصورة رمزية غير أنّها لا تمتلك الخصائص الدلالية للغة،

إنّها طفولة العلامة، ولا يخفى أنّ هذه الأصالة تمنحها قدرة على الإيصال لا مثيل لها.. (العبد، 2003، ص: 133)، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الصورة لها طابع اختزالي، فما تقوله الصورة الفوتوغرافية هذه يلخّص تاريخاً مأساوياً، وواقعاً مرّاً في لقطة واحدة مركزة مؤولة إلى تغيير المسار نحو التفاؤل ومادام الاختصار استوفى شروطه عدّ بلاغة وحقق من الناحية التداولية نفع الاختصار.

خاتمة ونتائج:

تكمن أهمية المقاربة البلاغية للصورة الصحفية لظاهرة اختطاف الأطفال بالجزائر فيما يلي:

- الكشف عن أسس الخطاب الإقناعي الذي تقوم به الصور الصحفية المتعلقة باختطاف الأطفال على المتلقي، فكلّما تطابقت الأسس الأيقونية لمبدع الصورة من جهة والمتلقي من جهة ثانية كانت الصور المنتقاة أكثر فاعلية ومنفتحة على قراءات متعددة.

الصورة تفتح على القراءة والتأويل؛ قراءة الأدلة، والعلامات السيميائية وتكوينها ومعرفة أبعادها التواصلية والدلالية الكامنة فيها. سيميائية الصور الصحفية لظاهرة اختطاف الأطفال بالجزائر في بعدها التأويلي، تصف النصوص الدليلية في تلقيها وتقاربها في انعكاساتها الذهنية وتحللها في مساراتها الدلالية التأويلية.

الصور الصحفية لظاهرة اختطاف الأطفال بالجزائر تقصد إلى تحصيل معاني الأدلة اللغوية لفظية وغير لفظية في بعدها التأويلي.

الصور الصحفية لظاهرة اختطاف الأطفال بالجزائر في بعدها التواصلية تعتني بطرائق التواصل ووسائل التأثير الاصطلاحية ووصف العلامات.

ظاهرة اختطاف الأطفال بالجزائر من خلال الصور الصحفية التي قمنا بتحليلها يدخل في اعتبارها مفهومي التخاطب والقصد من التواصل، وأيضا في تقويم الأدلة اللغوية كما رأينا.

- 1- الجلفة أنفو للأخبار، (2015/10/25)، ظاهرة خطف الأطفال إلى أين، <http://www.djelfa.info/ar/caricature/9210.html>
- 2- السنوني العياشي، (2008)، ج1، مبادئ النقد السيميائي للنص الشعري المادح، المؤتمر الثاني عشر تداخل الأنواع، إربد، الأردن قسم اللغة العربية.
- 3- العقاد أحمد، (2002)، ط01، تحليل الخطاب الصحفي من اللغة إلى السلطة، الدار البيضاء، المغرب دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- 4- الماكري محمد، (1991)، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- 5- بنكراد سعيد، (2003)، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، الدار البيضاء، المغرب منشورات الزمن.
- 6- ثاني قدور عبد الله، (2005)، سيميائية الصورة مغامرة سيميائية في أشهر الرسائل البصرية في العالم، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع.
- 7- جريدة التحرير الجزائرية، (2015/09/28)، ظاهرة اختطاف الأطفال مأساة تبحث عن حل، <http://www.altahrironline.com/ara/?p=203167>.
- 8- جريدة الديار، (2016/02/17)، 50 ألف حالة عنف ضد الأطفال بالجزائر، <http://www.addivar.com/article/1130570-50>.
- 9- جريدة الشروق، اليوم، (2012/12/21)، مجهولون يخطفون تلميذة من بيتها وينزعون أعضائها، <http://www.echoroukonline.com/ara/articles/151730.html>.
- 10- جريدة المسار (2013/05/26)، ملف اختطاف الأطفال وبيعهم في أوروبا اليوم أمام العدالة، <http://www.elmassar-ar.com/ara/permalink/30152.html>.
- 11- دو مينجوز جان كلود، تر بلعربي جمال، (جوان 2007)، المقاربة السيميولوجية، مجلة بحوث سيميائية، العدد 3، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية الجزائرية، ص40-71.
- 12- صبطي عبيدة، وبخوش نجيب، (2009)، ط1، الدلالة والمعنى في الصورة، الجزائر، دار الخلدونية.
- 13- عالمي سعاد، (2004)، مفهوم الصورة عند ريجيس دوبري، المغرب، إفريقيا الشرق.
- 14- منتدي بيت العرب الجزائري، (2013/05/26)، جنازة الطفلة شيما تزلزل مشاعر الجزائريين، <http://www.algerianhouse.com/mountada/t3661>.
- 15- Barthes Roland, (1982), Le message photographique, in l'obvie et l'obus Essais critiques III, paris, Seuil.
- 16- BURZLAFF Werner, (1990), la lettre et l'image, les relations iconiques chez Peirce, In signe/ texte/ image, Lyon, césura.
- 17- CLAUDE marie, et SOULARD vettraino, (1993), lire une image Paris, -. AELAND COLIN.
- 18- ECOUMBERTO, (1984), la structure absente, paris, mercure.
- 19- GREIMAS A.J, et COURTES J, (1979), sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie Du langage paris, hachette.
- 20- la borderie René, (1972), les images dans la société et l'éducation, paris, Casterman.